القضايا النّصية في التّفكير البلاغي عند العرب
دراسة مقارنة-التّماسكُ أنموذجا-

د. بلخير أرفيس ، جامعة المسيلة ، الجزائر

البريد الالكتروني : refibel2@yahoo.fr

ملخّص

إن مقاربة التراثي الراكد ، بالحداثي الوافد ، لا تتم إلا من خلال أمرين ، إذا تمكن الباحث من الوقوف على حقيقتهما واستيعابهما ، جاز له أن يحفر عميقا لبناء مقاربة تأويلية تستنطق الماضي وتستلهم الحاضر ، وتفتح آفاقا واسعة للتأصيل ، ومكاسب عظمى في التحصيل ، وهذان الأمران هما تحديد المفهوم ، وإبراز المنهج .

يعتبر مصطلح النص الأيقونة الكبرى في لسانيات النص ، ولهذا فإن الوقوف على دلالته في الفكرين العربي والغربي سيسعفنا في مرحلة أولى من اكتناه الفواصل الفارقة والفروقات الفاصلة بتن المفهومتن، وإذا تمكنا من ذلك ، تجاوزنا المفهوم إلي أحد أساسيات الدراسة النصية ، نغوص فيه لنكتشف مدى الدلالات التي يحملها ، ونتمكن في الأخير من معرفة بعض حقائق الدراسة النصية في الموروث البلاغي والدرس اللساني الحديث.

Abstract

The comparision between classical arabic rhétoric and linguistics of text can' t be done unless by the précision of two things :

The first thing is to define the method of study and the second is to clarify the concepts of study.

The text is the essentiel icône in the linguistics of text. so the precision of this later is a very important step because it leads to know the deferences and similarities between classical arabic rhétoric and linguistics of text.

We also try to look for the common points in the levels of analysis with Focusing on the cohision in order to know the truth of the modern textual study.

Résumé

La comparaison entre la rhétorique arabe classique et la linguistique du texte ne peut être faite que par la précision de deux choses :

La première chose est de préciser la méthode d'étude. et la deuxième est de préciser les concepts.

Le texte constitue l'icône essentiel dans la linguistique du texte. Donc la précision de ce dernier est une étape très importante, car elle conduit à connaître les déférences et les ressemblances entre la rhétorique arabe classique et la linguistique du texte .

Nous essayons également de rechercher les points communs dans les niveaux d' analyse en concentrant notre étude sur la cohésion pour découvrir la vérité de l'étude textuelle moderne.

مقدمـــــة :

إن مقاربة التراثي الراكد، بالحداثي الوافد، لا تتم إلا من خلال أمرين، إذا تمكن الباحث من الوقوف على حقيقتهما واستيعابهما،جاز له أن يحفر عميقا لبناء مقاربة تأويلية تستنطق الماضي وتستلهم الحاضر ،وتفتح آفاقا واسعة للتأصيل،ومكاسب عظمى في التحصيل ، وهذان الأمران هما تحديد المفهوم ، وإبراز المنهج .

يعتبر مصطلح النص الأيقونة الكبرى في لسانيات النص،ولهذا فإن الوقوف على دلالته في الفكرين العربي والغربي سيسعفنا في مرحلة أولى من اكتناه الفواصل الفارقة والفروقات الفاصلة بين المفهومين،وإذا تمكنا من ذلك، تجاوزنا المفهوم إلى أحد أساسيات الدراسة النصية،نغوص فيه لنكتشف مدى الدلالات التي يحملها،ونتمكن في الأخير من معرفة بعض حقائق الدراسة النصية في الموروث البلاغي والدرس اللساني الحديث.

1. إشكالية المفهوم في الفكرين العربي والغربي :

تبرز إشكالية المصطلح في مدى قدرة الباحث على إعطاء مفهوم نسقي يحوي جميع مفاصل البناء اللفظي والبعد الدلالي،وهو أمر ليس باليسير؛إذ تعددت التعريفات العربية والغربية لمفهوم النص ودلالاته، وهو ما يفرض علينا أن نبدأ بالكشف عن الدلالة اللغوية لكلمة (نص) في اللغة العربية والغربية وفقاً لما أوردته المعاجم، لنقف عند حدود التشابه وأبعاد الاختلاف، وذلك " لأن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة بشكل عام" . [1]

أ-بنية النص في المعجم العربي :

إن الوقوف على الدلالة المعجمية لمصطلح النص يقتضي منا البحث عنها في مخازن التراث وما تورده المعاجم الحديثة،حتى ندرك الطابع المفاهيمي الذي يأخذه النص.

فمن المراجع القديمة نورد ما ذكره ابن منظور في لسان العرب حيث يقول: " (النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً : رفعه. وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ. ووضع على المنصة : أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل : نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ، وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام" . [2]

وجاء في القاموس المحيط في مادة (نصص) قوله : " (نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع : جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً : استقصى مسألته عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً : صوّتَ على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى:أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو قدرن على الحقاق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نصناص أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه:استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض" . [3]

وجاء في مختار الصحاح في مادة (ن .ص .ص) " في حديث علي رضي الله عنه: " إذا بلغ النساء نص الحقاق " يعني منتهى بلوغ العقل و(نصنص):الشيء:حركه. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد" . [4]

كما قد يستخدم النص في معان اصطلاحية، فالنص في الكتابات الأصولية والفقهية هو القرآن الكريم، أو هو مجموعة من القواعد المستمدة من القرآن والسنة حيث تعتمد القاعدة الفقهية على: أن لا اجتهاد مع وجود النص، والنص في علم الحديث هو التوقيف والتعيين، وهناك النص والرأي أو النقل والعقل .

ومما جاء في المعاجم الحديثة ما أورده خليل أحمد خليل في معجمه حين رأى أن هناك العديد من المفاهيم التي تلف النص وذكر منها :

" يعني في العربية الرفع البالغ ومنه منصة العروس.

* النص كلام مفهوم المعنى فهو مورد ومنهل ومرجع.

* التنصيص المبالغة في النص وصولاً إلى النص والنصيصة .

* النص (Textus) هو النسيج، أي الكتابة الأصلية الصحيحة، المنسوجـــة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes) والشروحات والتعليقات (Commentaries).

* النص : المدونة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصه، أي في أصله الموضوع.

* النص كل مدونة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النص المشترك (co-texte) .

* " سياق النص، مساقه، أجزاء من نص تسبق استشهاداً، (Citation)، أو تليه، فتمده بمعناه الصحيح .

يقال: ضع الحدث في سياقه التاريخي. أي: في مكانه الصحيح.

* التساوق (Contexture) هو التوالف بين أجزاء الكل: تناسق القصيدة، تساوق الكلام. [5]

ويظهر من خلال ما تم ذكره أن المعاجم القديمة تتفق في كون أن النص يعني العلو والارتفاع،بيد أن ما أورده صاحب معجم المصطلحات العربية يختلف عن ذلك فهو يعني عنده الظهور والاكتمال .ولعل هذا الأمر قد استجلبه مما أورده الدرس اللغوي الحديث،وهو ما يجعلنا نطل على المعاجم الغربية لتقف على طبيعة الدلالة التي يحملها في ذلك

ب - بنية النّص في المعجم الغربي :

لفظ (Text) مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات وأدوات النسج. وقد ورد في معنى لفـــظ (نص) (Text) ما ترجمتــه : " الجمل والكلمات نفسها المكتوبة (أو المطبوعة أو المنقوشة) أصلاً، الكتاب أو المخطوطة أو النسخة التي تضـــــــــــــــــم هذا.

-البنية التي تشكلها الكلمات وفق ترتيبها.

-مضمون البحث (حول موضوع ما)، الجزء الشكلي (أو الرسمي) المعتمد.

-الجمل والكلمات نفسها مــن الإنجيل.

-قطعة قصيرة من الأناجيل، يستشهد بها المرء كمصدر موثوق أو كشعار أخلاقي أو كموضوع شرح أو موعظة أو حكمة أو بديهة أو مثل أو قول مأثور أو نصوص يستشهـــــــــد بها.

-في استعمال لاحق ... ... يستخدمها المرء كاسم للكتاب المقرر الدراسي.

-عملية أو فن النسج] الحبك [، إنتاج نسيج محبوك، أي بنية طبيعية لها المظهر أو التكوين النسجي، مثلاً نسيج العنكبوت.

-تركيب أو بنية مادة أي شيء مع مراعاة عناصره التشكيلية المكونة أو الخصائص الفيزيائية... للأشياء غير المادية، التكوين أو الطبيعة أو الخاصية الناجمة عن التركيب الفكري، كنسج خواص متنوعة.

-في الفنون الجميلة: تمثيل البنية وتحوير دقيق للســـطح.

- أما النصية فهي التمسك التام بالنص خاصة الأناجيل" . [6]

وتكاد تتفق أغلب المعاجم الغربية على ربط مفهوم النص بالأصل اللاتيني للفظ(TEXT)، فـ (TEXT) باللاتينية مشتق من (TEXTUS) بمعنى النسيج (TISSUE) المشتقة بدورها من (TEXTURE) بمعنى نسج، ومنه تطلق كلمة (TEXTIL) على ما له علاقة بالنسيج .

جـ- جدل المفهوم بين الائتلاف والاختلاف :

إذا كانت العلاقة بين النص و (TEXT) غير متطابقة في العربية، حيث يرد مفهوم (TEXT) ضمنياً في لفظ (نص)، فإن التطابق أكبر بين الدالّ(TEXT) والدال (نسيج) فلقد ورد مفهوم (TEXT)، في الدال نسيج بدلالته المباشرة في القواميس العربية واستخدمه النقاد العرب القدامى في تعريفاتهم بما يؤكد معرفة العرب لهذه العلاقة تماماً كتعامل الغرب مع الأصل اللاتيني للفظ (TEXT). ففي القاموس المحيط " نسج الثوب ينسجه وينسجه فهو نساج وصنعته النساجة والموضع منسج ومنسج والكلام لخصه وزوره وكنبر أداة يمد عليها الثوب لينسج، ومن الفرس أسفل من حاركه. وهو نسيج وحده لا نظير له في العلم وغيره وذلك لأن الثوب إذا كان رفيعاً لم ينسج على منواله غيره. وناقة نسوج لا يضرب عليها الحمل أو التي تقدمه إلى كاهلها لشدة سيرها ونسج الريح الربع أي يتعاوره ريحان طولاً وعرضاً، والنساج الزراد والكذاب، والنسج بضمتين السجادات" . [7]

كما ربط العرب في ممارساتهم النقدية بين نسج الثوب ونسج الشعر لأن كلا منها يحتاج إلى براعة عالية حتى يكون هناك التناسق الذي هو أساس الإبداع،وفي هذا المنحى يقول الجاحظ: " إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" [8] . ويؤيده ابن طباطبا حين يرى أن " الشاعر الحذق كالنساج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق، ويسديه، وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه. وكالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه. ويشيع كل صيغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان " . [9]

أما عبد القاهر الجرجاني فقد كان أكثر وضوحا وذلك حين يقول: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض، حتى تصير قطعة واحدة..."، " فكما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف شعراً من غير أن يحدث فيها النظم" ...و" كما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، كما الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعـــــــرف مكان الفضل والمزية في الكلام ، أن تنظــر في مجرد معناه..." [10]

يتبين من الاستقراء لما سبق وجود فرق شاسع وبون واسع في مفهوم النص بين ما تناوله القدامى وما أثبته المحدثون ، فقديما كان يعني الظهور والاكتمال،وكان التعامل معه دلاليا فقط أما الدراسات الحداثية، وما بعد الحداثية فقد تعاملت مع النص كمفهوم دلالي وإجرائي أيضا .

لقد تطورت دلالة النص بتطور الأبحاث في الجملة وما بعدها، ولا يضير العربية عدم وجود تعريف محدد بدقة للنص. فلقد " أدرك عدد من المفكرين الغربيين أهمية هذا الأمر بعد سقوط البلاغة عندهم. ولذا، نرى أن (رولان بارت) مثلاً يرفض تعريف (تودورف) للنص وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللامناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني- تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون" . [11]

وإن كان غياب تعريف للنص عند القدامى فإن هذا لا يعني غياب ممارسات نصية تنبئ عن وعي العرب وإدراكهم لتلك المفاهيم المستحدثة وإن لم يذكروها،فالعلم الحديث يمتاز بالتخصص والكلام في جميع الأشياء

حتى البديهية منها ،أما العرب فديدنهم الإشارة،وهي عندهم أبلغ من العبارة ،ولهذا يقال:رب إشارة أبلغ من ألف عبارة . وهو ما سنقف عنده في النقطة التالية .

2. الممارسات النّصية في الدّرس البلاغي عند العرب :

إن التنقيب في أركيولوجيا الأفكار البلاغية عند العرب،يجعلنا نعي بحق مـدى إدراكهم لضرورة تماسك النص وانسجامه،معبرين في ذلك بعبارات مختلفة (جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)، فالجاحظ يقول: "وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان ." [12]

وأكثر من هذا ،يخبر الجاحظ بمدى ولع العرب في نقدهم بالسبك فيقول : " ورأيت عامّتَهم [13] - فقد طالت مشاهدتي لهم - لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد، وعلى كلّ كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حِسان المعاني، ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر." [14]

ويلح الجاحظ على قضية جودة السبك، ففي الحيوان يقول عن أبي نواس وعلاقته بالكلاب: "وأنا كتبتُ لك رجزه في هذا الباب، لأنَّه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ، إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة، أو ترى أنّ أهل البدو أبدًا أشعرُ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل، مادمتَ مغلوبًا." [15]

أما الباقلاني فأكد على التأليف والرصف حين حديثه عن إعجاز القرآن ،فيطرح بذلك النظرة الشمولية التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند الحديث في هذا الموضوع فيقول: "إنه بديع النظم ،عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" [16] .ثم يبدأ بتفصيل هذا فيقول:"وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه ،خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم،ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم،وله أسلوب يختص به،ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد" [17] :" ثم يذكر الباقلاني ما ينم عن عمق تفكير وكبير دراية العديد من الأوجه التي تثبت إعجاز القرآن الكريم ليصل إلى النتيجة التي مفادها قوله " وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكـــــــرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ." [18]

وأما عبد القاهر الجرجاني فيتجلى عمله في نظرية النظم التي أقام حدودها وأعاد بناءها،فكانت بحق أحد الروافد الكبرى التي استقى منها الدرس اللساني الحديث العديد من المفاهيم وإن لم يحل عليها، فهي تدعو إلى النظرة الشمولية التي تمكن المتلقي من الوقوف على الجمالية التي يحملها النص. كما أنها تقوم على أن أساس المزية التي لا يمكن أن تكون من البيت الأول أو الأبيات الأولى،وإنما بعد سبر أغوار النص كله،وفي هذا يقول: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير،وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبجهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها،أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما،وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم-ولو حك بيافوخه

السماء-موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول وخرست القروم فلم تملك أن تصول" ..... [19]

وأما ضياء الدين ابن الأثير فإن أهم ما جاء به هو إنكاره على النقاد الذين يرون أن التضمين عيب ، وهو ألا يكتمل المعنى بقافية البيت، بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه ،وينبغي أن يكون البيت مستقلا في مبناه ومتحدا في معناه،ليذهب أبعد من ذلك في كتابه المثل السائر حين يشبه علاقة البيت بالذي يليه كالعلاقة بين الفقرة والفقرة في النثر، فكما أنه يجوز أن يصل الفقرة بالفقرة، دون أن يعد ذلك عيباً في نثره. فكذلك الشعر يستطيع الشاعر أن يعلق معنى البيت بالذي يليه، ولو صح هذا ... لكانت القصيدة كالسبيكة الواحدة، لا يستطيع كائن من كان أن يرى تفككها، وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها العضوية، وحدتها الحية التي ينشدها المبدع، وتعين القارئ على التفاعل مع النص، تفاعلاً يجعله يقف على مزاياه المتمثلة في انضباطه وتنظيمه الداخلي.

وأما حازم القرطاجني فكانت نظرته أيضا أكثر شمولية للنص، مما جعله يتميز عن غيره في هذا المجال، فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " زعم أن لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي، عن القصيدة " .[20]

لقد كان وعي العرب بالمقاييس النصية أكبر من أن تختزل في بعض المفاهيم الإجرائية،ولهذا لم يطل كلامهم عنها بالقدر الذي نلحظ فيه تلك الممارسات النصية ،وخاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم ،وفي هذا يرى أحد الباحثين أن العرب لم يعرفوا " في تاريخهم ممارسة نصية كما عرفوها مع القرآن. ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة ... تكمن في الوقوف على (النص في ذاتيته النصية) بتعبير رولان بارت. فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف" . [21]

غير أننا نتحفظ كثيرا في إطلاق كلمة النص على القرآن الكريم، خصوصا وأن هذا المصطلح لم يرد فيه ، ولكننا في بعض الأحيان نزل من تحفظنا قليلا فنسمح لأنفسنا بأن تتشعب في كل ما يحدثه الدرس اللغوي الحديث،وتحاول تطبيق ذلك على القرآن الكريم لتبحث عن إعجازه،دون الإخلال بقدسيته، فـ" القرآن نص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، وهو لأنه كذلك، فإن التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به، لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه. وبناء على هذا، يمكننا أن نقول: إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين :

- لأن المتلقي (موضوع الخطاب) يعتبر جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه إن سلباً وإن إيجاباً من جهة أخرى. وهو لأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتعين العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلولـــه . لأن الله في التصور الإسلامي، لا يشبـــــه شيئاً، ولا يشبهه شيء و" ليس كمثله شيء" .

وما دمنا ننظر إلى القرآن بهذا المنظور، فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدال يدل. من جهة أولى، على متلقيه ويتعدد به. والمتلقي من جهة ثانية، يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحول" . [22]

ورغم هذا،فإن القرآن يختلف عن أي نص بشري ،ذلك أن لنظمه خصائص لم تعرف قبل نزوله، وهي لا تكمن في الكلمات المفردة - في جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنـــات، ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز فمن هذه يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان" . [23]

كما أنه نظام لغوي يقوم:"على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد" . [24]

لقد حاول الكثير من البلاغيين والنقاد العرب المحدثين ابتداع تعاريف للنص تمكن في مرحلة ما من استنباط بعض القواعد الإجرائية يمكن اتباعها في أي دراسة نصية ،ونذكر على سبيل المثال ما أورده محمد مفتاح حين يقول"النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة .

مدونة كلامية : يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل .

حدث : إن كان نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي .

تواصلي : يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي .

تفاعلي : على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها .

مغلق : ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية هو:

توالدي : إن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لا حقة له " . [25]

وأما الغذامي فيرى أن : " النص الأدبي هو بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية. ولذلك فإن القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التعبير. إن القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النور أو كهطول المطر وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة وكأنها مد لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنها لكذلك لأنها نص يأتي ليتداخل مع سياق سبقه في الوجود. وكذلك فالنص مفتوح وهو بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص ثم إلى النصوص الأخرى ليكون بعد ذلك : (الكتاب امتداداً كاملاً للحرف) " . [26]

غير أن هناك من الباحثين من يرى أن وضع تعريف للنص سيقتل الدينامية التي هي أصل فيه ذلك أن: " وضع تعريف للنص يعتبر تحديداً يلغي الصيرورة فيه، ويثبت إنتاجيته على هيئة نمطية لا يكون فيها زماناً للمتغيرات الأسلوبية والقرائية أثر، ويلغي قابليته التوليدية زماناً ومكاناً، ويعطل في النهاية فاعليته النصية " . [27]

4. إشكالية المنهج بين الإطار المفاهيمي والعمل الإجرائي :

لقد تعددت مستويات الدراسة النصية وفق المفهوم الحداثي ،وقد كان التماسك النصي أحد تلك المستويات،ولهذا سنلجأ إلى هذا الإجراء لنقاربه وفق المنظورين العربي والغربي .

ونحن في مقاربتنا هذه سنحاول الإجابة عن التساؤل التالي: إلى أي مدى يمكن الكشف عن العلاقة بين تماسك النص الذي نقرؤه في الكتب الأجنبية، والممارسات النقدية للعرب القدامى في تحليل النصوص ؟

التماسك لغة ضد التفكك، وهو بهذا يعني الترابط، ، وجاء في أساس الزمخشري أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك. و (أمسك عليك زوجك) وأمسكت عليه ماله: حبسته، وأمسك عن الأمر: كفّ عنه. وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها. وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت. وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة." [28]

وأما في تاج العروس: "وفي صِفَتِه صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّمَ بادِنٌ مُتَماسِكٌ أَرادَ أَنّه مَعَ بدانَتِه مُتَماسِكُ اللَّحْم ليس مُستَرخِيَه ولا مُنْفَضِجَه، أي أَنَّه مُعْتَدِلُ الخَلْقِ كأَن أَعْضاءهُ يمْسِكُ بعضُها بعضًا. " [29]

وأورد ابن منظور: "المَسِيك من الأَساقِي التي تحبس الماء فلا يَنْضَحُ وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها وأَرض مَساك أيضًا. " [30]

وباستنطاق أغلب المعاجم العربية نجد أنها تقر في الأخير أن معنى التماسك هو الشدة والصلابة والمتانة،وترابط الأجزاء بعضها ببعض حتى تصير جزءا واحدا . [31]

أما التماسك في علم اللغة الحديث فيعرفه تودروف بأنه " الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل ، ولاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع "

أما هالداي ورقية حسن فالتماسك عندهما يعني التلاحم بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، فيصبح نسيجا واحدا، تتحقق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بالمبدع والمتلقي. [32]

كما يعرف "بكونه مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض" . [33]

تشترك التعريفات السالفة الذكر في كونها تعد التماسك مجموع العناصر التي يمكنها أن تسهم في البناء العام للنص حفاظا على بنية قارة ورؤية دالة ،وهذا المستوى يبحث الأدوات اللغوية الكفيلة بتحقيق الترابط بين عناصر النص ، وهي أدوات شكلية بالخصوص تتجلى في العديد من أدوات تماسك النصوص كأدوات الربط ، والتكرار والحذف والإحالة والاستبدال والاتساق المعجمي الخ .

أ- آليات التّماسك النّصي بين الدّرس التراثي والمعطى الحداثي :

لم تكن العبارات التي أطلقها اللغويون العرب جودة السبك يفرغ إفراغا واحدا إلا لتعبر على مضمون واحد يتمثل في ضرورة أن يكون البناء اللغوي لأي نص متسما بالوحدة، غير أن أحكامهم النقدية تلك لم تكن لترقى إلى نظرية لغوية في بناء النص كما عرفته اللسانيات الحديثة، فقول الجاحظ مثلا: "وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان ." [34] يعبر عن بعد نظر وعمق فكر، في ضرورة أن يكون الشعر لحمة واحدة كالدهان الذي لا يحتمل حتى يطلق عليه صفة الجيد وتلحق به مزية التجويد .

ويؤكد هذا القول في موضع آخر فيقول: " ورأيت عامّتَهم [35] - فقد طالت مشاهدتي لهم - لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت لِلّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حِسان المعاني، ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر." [36]

كما يلح الجاحظ على قضية جودة السبك، ففي الحيوان يقول عن أبي نواس وعلاقته بالكلاب: "وأنا كتبتُ لك رجزه في هذا الباب، لأنَّه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ، إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة، أو ترى أنّ أهل البدو أبدًا أشعرُ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل، مادمتَ مغلوبًا." [37]

ومن خلال وصفه لأشعار أبي نواس بجودة الطبع وجودة السبك ،يدل ذلك على أن ترابط أجزاء الشعر أحد أهم المعايير التي تبنى عليها مقاييس جودة الشعر ورداءته .

وحقيقة الأمر أن مقياس التماسك بالصورة العملية التطبيقية لم تحفل به الدراسات النقدية بالقدر الذي اهتمت به الدراسات القرآنية في تبريرها بلاغة القرآن وعلو كعبه في هذا الشأن، فكان أن ظهر من أمور التماسك ما يعرف بعلم المناسبة، التكرار ، الترادف، والمقابلة،وهي أمور لم ترق إلى الحد الذي يجعل منها نظرية لغوية،غير أن إحياءها وإعادة بعثها هو الذي سينفخ فيها روحا قد يجعلها في مرحلة ما في مقابل ما توصل إليه الدرس اللغوي الحديث .

ونحن سنقتصر في أمرنا هذا على قضيتين : أما الأولى فتتعلق بعلم المناسبة وأما الأخرى فتعلق بقضية التكرار في القرآن الكريم .

فعلم المناسبة يعرفه السيوطي في الإتقان بقوله: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [38] ، وقوله ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [39] للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك." [40]

وأول من تكلم عن علم المناسبة أبو بكر النيسابوري" وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة." [41]

غير أن هذا العلم لم يلق القبول المطلق من قبل كل الدارسين،فمنهم من تحرج في ذلك ووضع له شروطا ،ومنهم عزالدين بن عبد السلام الذي " يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى." [42]

وهناك من رأى ضرورة البحث في هذا الأمر مفندا ما ذهب إليه المعترضون ،وفي هذا يقول الزركشي: "قال

بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له." [43]

وأما التكرار فقد جاء في تعريفه اللغوي ما يلي: الكاف والراء أصل صحيح،يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد) . [44]
وهو مصدر كرر إذا أعاد وردد، ويقال كرر الشيء تكريرا أعاده مرة بعد أخرى . [45]

وأما اصطلاحا فيعرفه ابن الأثير قائلا هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا [46] ، وأما الزركشي فيعرفه بقوله : إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى . [47]

وقدكانت قضية التكرار في القرآن الكريم أحد المنافذ التي دخل منها من أراد الطعن في القرآن الكريم متهما إياه بإعادة التكرار دون فائدة . [48]

فابن قتيبة يذكر هذا الأمر فيقول: "بعض الطاعنين في القرآن الكريم من الملاحدة تعلقوا بظاهرة التكرار في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وفي تكرار الأنبياء والقصص من غير زيادة ولا إفادة" .

ويقول الخطابي إنهم يقولون "قد يوجد في القرآن الحذف الكثير، والاختصار الذي يشكل معه وجه الكلام ومعناه، ثم قد يوجد فيه على العكس منه التكرار المضاعف، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وليس واحد من المذهبين بالمحمود عند أهل اللسان ." [49]

كما يذكر السكاكي وهو يتكلم عن مطاعن الضالين والرد عليهم أيضا، ومنهم أنهم يقولون "لا شبهة في أن التكرار شيء معيب، خال عن الفائدة، وفي القرآن من التكرار ما شئت ويعدون قصة فرعون ونظائرها وغير ذلك مما ينخرط في هذا المسلك" . [50]

وهذا ما أدى بالباحثين والدارسين في هذا المجال إلى نفي هذا الأمر معتبرين وجوده في القرآن الكريم إحدى المزايا التي اتسم بها القرآن الكريم،ثم اختلفوا في كيفية التبرير

فمنهم من ذهب إلى إثباته معتبرا أن التكرار مزية في اللغة في حد ذاتها وهو ما يذهب إليه الجاحظ حين يقول: إن الناس لو استغنوا عن التكرير، وكفوا مئونة البحث والتنقير لقلّ اعتبارهم. ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله، ومن قلّ فضله كثُر نقصه، ومن قلّ علمه وفضله وكثُر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذمّ على شرّ جناه، ولم يجد طعم العزّ، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين ولا راحة الأمن.. " [51] . وهو ما يؤكده السيوطي في خضم حديثه عن أساليب العرب،معتبرا إياه أحد محاسن الفصاحة. [52]

وأما القسم الآخر فقد نفى وجود التكرار أصلا ، ذلك أن تكرار اللفظ يحمل دلالة مخالفة لما سبق، ومن ثم فهو تكرار في اللفظ دون المعنى، وهو ما يذهب إليه الزركشي حين يقول: "واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [53] إن الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال: وفي ﴿ ثُمَّ ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول." [54]

كما أطلق بدر الدين بن مالك في شرح "الخلاصة "أن الجملة التأكيدية قد توصل بعاطف ولم تختص بثم وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص وليس كذلك فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا

قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . [55]

وقولهم : إنه تأكيد فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء لا أنه تأكيد لفظي ولو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالعطف ولما فصل بينه وبين غيره: ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ﴾ [56]

وقد ذكر الزركشي العديد من أغراض التكرير في القرآن الكريم،وهي في مجملها تدل على مدى التماسك الذي يحتفل به ، ومن ذلك :

- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة،ليكمل تلقي الكلام بالقبول كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [57] فإنه كرر فيه النداء لذلك .
- لتعدد المتعلق،كقوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [58] ،فإنها وإن تعددت،فكل واحد منها متعلق بما قبله،وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن،وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم،فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه،وهي أنواع مختلفة وصور شتى .

وإذا كان علم المناسبة وظاهرة التكرار قد تجاوزا بنية الجملة ليتطرقا إلى ما يعرف بما بعد الجملة،فإلى أي مدى يمكن الكشف عن مثيلهما في الدرس النصي الحديث؟

لقد تعددت الدراسات النصية -واختلفت في بعض الأحيان-حول آليات التماسك النصي،بيد أن دراسة هالداي ورقية حسن في كتابهما المعنون : التماسك في الإنجليزية" تعد من أهم الدراسات في هذا المجال، ولهذا سنتعرض لأهم أسس التماسك النصي عندهما انطلاقا من ملخصهما في الفصل الأخير من كتابهما، وهي عندهما ما يلي : [59]

- الإحالة، وهي تشمل ما يتعلق بالضمير، وما يتعلـــق بالوظيفة كالكلمات الدالة على الملكية، والإشارة، وما يتعلق بالظرفية كظرفي الزمان والمكان، وإحالة المقارنات، والإحالة الوظيفية.
- التبديل (الإحلال) وتشمل استخدام اسم بدل اســم آخر، وكذا استخدام فعل بديلا عن فعل آخر، واستخدام علامة النسب بديلا عن ذكر المنسوب إليه.
- الحذف، ويشمل الحذف في الأسماء، والحذف في الأفعـــال، وحذف العبارة، والحذف الشكلي، والحذف العام، والحذف الصفري، والحذف الوظيفي.
- الربط، ويشمل الإضافة، والربط البسيط، والربط المركب، والربط المؤكـــــد، والموازنة، والاستدراك، والمغايرة الداخلية والخارجية، والتصويب في المعنى، والتصويب في اللفظ، الربط عن طريـــــق التسبيب العام والمحدد، وتعاكس السببية، والربط الشرطي، والعلاقات الزمانية.
- الخلاصة، ويشمل التلخيص، والإجمال.
- القصد .
- التماسك المعجمي، ويشمل التكرار، والترادف، والإحداثات، والنقاط العامة، والتنظيم.

لقد تطرق علماؤنا القدامى لأغلب هذه القضايا،فمنها ماكان مدرجا في علم النحو ومنه ماكان مدرجا في علوم البلاغة،ولا ضير في ذلك، فقد تعددت الدراسات عندهم وتفرعت إلى العديد من المجالات ،غير أنها تلتقي جميعها في نقطة واحدة،وهي البحث في بلاغة النص ،فالبحث اللغوي عندهم قد اتسم بالغائية، فبحث أول الأمر في صون اللسان عن الخطأ، والحفاظ على اللغة من الاندثار والضياع. ولهذا كان جل اهتمامه مركزا على فصاحة الألفاظ والكشف عن عربيتها، وبيان دلالتها،ثم الفروق بين اللفظ والآخر. كما اهتم أيضا البحث بضبط اللسان من اللحن، والحفاظ على النطق العربي نطقا صحيحا، فضبط بنية الكلمة، وضبط بنية الجملة.وهو ما أنشأ علوم النحو والبلاغة واللغة،وإذا نظرنا إلى هذه العلوم مجتمعة وجدنا أنها تمثل بناء شامخا يمكن أن يقف في وجه كل ما

أحدثه الدرس اللغوي الحديث .

خاتمـــة :

من خلال كل ماتم ذكره نستنتج الآتي :

- لقد حفر أجدادنا عميقا في الدراسات النصية ، وخاصـــة المتعلقة منها بالقرآن الكريم ، فأدى بهم حديثهم عن إعجازه إلى العديد من القضايا التي تطرحها لسانيات النص في العصر الحديث .
-لقد كان طرح العرب لقضايا النص منطلقا من واقع إجرائي ، يحاول استكناه النصوص دون التعريج على طبيعة تلك المفاهيم، إذ هي عندهم من الأمور المسلم بها.
- إن المفاهيم التي طرحها اللغويون العرب متصفـــة في عمومها بالشمول،ذلك أن مرحلتهم لم تعرف التخصص العلمي وفق المنظور الحديث .
- إن ما يطرحه الدرس اللغوي الحديـــث ليجد له الأثر المباشر-في أغلب الأحيان- في التراث العربي،ذلك أن بنية النصوص واحدة، وجمالياتها أيضا،والمختلف فقط هو اللغة المستعملة.
- لو حاولنا إسقاط المفاهيم الحداثية على التراثية لوجدنا أنفسنا في وضع المترجم أكثر من أي شيء آخر
- إن التخصص العلمي، وفق المنظور المعاصر، هو الذي جعل الحديث عن الآليات النصية أكثر تفصيلا من غيرها في التراث العربي .

وعليه : فإنه ينبغي علينا أن لا نستهين بما قدمه أجدادنا في دراساتهم اللغوية،بل علينا أن نعمد إليها ونعتمد عليها لإعادة بناء الصرح اللغوي، وفق ما يقتضيه التراث، وما تتطلبه الحداثة،ونهجنا في ذلك عدم التعصب للنفس ،أو الانبهار بالآخر، فتكون لنا الكلمة في كل ما يحيط بنا،ونوجد لأنفسنا مكانا، في عالم أصبح لا يعترف إلا بمن يفرض ذاته .

الهوامـــــش :

(1) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998، ص178.
(2) ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعـــــــــــارف، بالقاهرة، 1979، ج13، مادة (نص)، ص 98-97.
(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحيـــــــاء التراث العربي، بيروت، 1997، ج1، مادة (نص)، ص 858.
(4) الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العـــــــــربي، بيروت، ط1، 1999، مادة (نص)، ص 382-381.
(5) خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكـــــر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص137-136.
(6) Webster's Third New International Dictionary of the English Language unbraided - Merriam- Webster INC. Publishers Spring field, Massachusetts, U.S.A. P 2365-2366
(7) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، مادة (نسج)، ص 209.
(8) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة مصطفى البابي،مصر ط2،دت ج1، ص 131.
(9) ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص19.
(10) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيـــد رضا، دار المعـرفة، بيروت، 1982، بدون طبعة، ص 316، 373، 312.
(11) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط1990،1، ص208. عن رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي.عدد(3) بيروت، 1988.
(12)الجاحظ، البيان والتبيين، تحقبق عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ط7 (1418،1998).1/ 67 .
(13) يقصد عامة رواة الأخبار. انظر:الجاحـــــــــــــــــــــظ، البيان والتبيين ، 1 / 67 .
(14) نفسه 4/ 24، وقد نقل الجرجاني كلام الجاحظ، وعبر عن إعجابــه به، انظر: دلائل الإعجاز: 251 .
(15)الجاحظ، الحيوان، 2/ 27 .
(16) الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971، ص : 35 .
(17) نفســـــــه ، ص : 35 .
(18)نفســـــــه ، ص : 37 .
(19) عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص : 39 .
(20) د. إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص – دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1997، ص : 56-55 .
(21) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبيـــــة، ص : 202 .
(22) نفســـــــــــــــــــه ، ص : 232-231 .
(23) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص : 300 .
(24) أبو بكر الباقلاني، إعجـــــــــاز القرآن ص : 35 .
(25) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعـري – استراتيجية التناص -، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص : 120.
(26) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1985، ص : 90.
(27) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص : 207.
(28) الزمخشري:أبو القاسم جار الله محمود،أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السد،دار الكتـــب العلمية، لبنان ، ط 1 (1419،1998) . مـــــــــــــــــــــادة (مسك)ص : 326 .
(29) الزبيدي،تاج العروس، المطبعة الخيرية،مصر 1988مادة(مسك) ، ص : 418 .
(30) ابن منظور،لسان العـــــــــــــــرب ،مادة (مسك)ج6 ، ص : 537 .
(31) تودوروف، النص، من كتاب العلاماتية وعلم النص،منذر عياشي، ط1، 1994، ص : 132 .
(32) انظر: Halliday & Ruqaiya Hasan, Cohesion in English, (New York: Longman , 1976)., P: XI
(33) محمد الشاوش،أصول تحليل الخطاب ج1 ، ص : 124.

(34) الجاحظ، البيـــــــــــــــــــــــان والتبيين ، 1/ 67 .
(35) يقصد عامة رواة الأخبار. انظر:الجاحظ، البيان والتبيين ، 1/ 67 .
(36) نفسه، وقد نقل الجرجاني كلام الجاحظ، وعبر عن إعجابه به، انظر: دلائل الإعجاز : 251 .
(37) الجاحظ، الحيوان ، 2/ 27 .
(38) ســـــــــــــورة سبأ 2 .
(39) البقـــــــــــــرة 245 .
(40) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علـــــــــــــــــــــــوم القرآن، 3/ 371، 372 .
(41) الزركشي ، البرهان ، 1/ 36.
(42) نفســـــــــــه 1/ 37 .
(43) ن م ، ن ص .
(44) انظر :ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،دت. (5/126) .
(45) انظر: ابن منظور،لسان العرب،مادة كـــــــــــــــــــرر دار المعارف- القاهرة،دت. 5/3851 .
الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب،القامـــــــوس المحيط (3/125) دار الكتاب العربي،دت.
الرازي: محمد بن أبي بكر،مختار الصحـــــــــاح دار الفكر –بيروت(1401هـ1981-م). (ص567) .
إنعام نوال عكاوي،المعجم المفصل في علوم البلاغة دار الكتب العلمية –بيروت،ط2:(1417هـ1996-م). ص417،169 .
(46) ابن الأثير: ضياء الدين،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة،منشورات دار الرفاعي- الرياض،ط2: (1404هـ1984-م) ، ص : 3/7 .
(47) الزركشي :بدر الدين محمد بن عبد الله،البرهان في علوم القرآن دار الفكر،ط3:(1400هـ1980-م). 3/10 .
(48) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن،، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث-القاهرة، ط2 : (1303هـ-1973م). ص : 32 .
(49) الخطابي، الرماني، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف-القاهرة، ط4، دت. ص : 52-51 .
(50)السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكـــر، مفتاح العلوم، ، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2: (1407هـ1987-م). ص : 592 .
(51) الجاحظ، رسائل الجاحـــــــــــــــــظ، 3/181.
(52) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/224.
(53) التكاثـــــــــــــــر 2 .
(54) الزركشي ، البرهان ، 3/ 11 .
(55) الحشـــــــــــــــر 18 .
(56) الزركشي، البرهان ، 3/ 12 .
(57)غافـــــــــــــر 39.38 .
(58) الرحمـــــــــــــان 13 .
(59) Halliday & Ruqaiya Hasan Cohesion in English pp: 333- 338 .